من قبلكم ولا يتسع هذا المكان لبسط هذا اكثر من هذا فان الغرض متعلق بغير هذه المشابهة
في هؤلاء بازاء ما وصف الله به المؤمنين من قوله ويطيعون الله ورسوله فان طاعة الله ورسوله
تنافي مشابهة الذين من قبلكم قبل قال سبحانه كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا فالخطاب في قوله كانوا اشد منكم قوة وقوله فاستمتعتم ان كان للمنافقين كان من باب خطاب
التلوين والالتفات وهذا انتقال من المغيب الى الحضور كما في قوله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد ثم حصل الانتقال من الخطاب الى المغيب في قوله اولئك حبطت اعمالهم كما في قوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها وقوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
اولئك هم الراشدون فان الضمير في قوله اولئك حبطت اعمالهم الاظهر انه عايد الى المستمتعين
الخائضين من هذه الامة كقوله فيما بعد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم وان كان لمجموع الامة المبعوث
اليها فلا يكون الالتفات الا في الموضع الثاني واما قوله فاستمتعوا بخلاقهم ففي تفسير
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قوله فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم ويروى ذلك عن ابي
هريرة رضي الله عنه وروي عن ابن عباس بنصيبهم من الاخرة في الدنيا وقال آخرون بنصيبهم
من الدنيا قال اهل اللغة الخلاق هو النصيب والحظ كانه ما خلق للانسان اي ما قدر له كما يقال القسم
لما قسم له والنصيب لما نصب له اي اثبت ومنه قوله تعالى ماله في الاخرة من خلاق
اي من نصيب وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما يلبس الحرير من لا خلاق له في الاخرة
والاية تعم ما ذكره العلماء جميعهم فانه سبحانه قال كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
فتلك القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون ان يعملوا بها للدنيا والاخرة وكذلك اموالهم
واولادهم وتلك القوة والاموال والاولاد هو الخلاق فاستمتعوا بقوتهم واموالهم واولادهم
في الدنيا ونفس الاعمال التي عملوها بهذه القوة والاموال هي دينهم وتلك الاعمال لو ارادوا بها
الله والدار الاخرة لكان لهم ثواب في الاخرة عليها فتمتعهم بها اخذ حظوظهم العاجلة بها
فدخل في هذا من لم يعمل الا لدنياه سواء كان جنس العمل من العبادات او غيرها ثم قال
سبحانه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا
وفي الذي وجهان احدهما انها صفة المصدر اي كالخوض الذي خاضوه فيكون العايد
محذوفا كما في قوله مما عملت ايدينا وهو كثير فاش في اللغة والثاني انه صفة الفاعل
اي كالفوج او الصنف او الجيل الذي خاضوا كما لو قيل كالذين خاضوا وجمع سبحانه بين

الاستمتاع

الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض لان فساد الدين اما ان يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به او يقع
في العمل بخلاف الاعتقاد الحق والاول هو البدع ونحوها والثاني فسق الاعمال ونحوها والاول
من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون احذروا من
الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا اعمته دنياه وكانوا يقولون احذروا
فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه المغضوب عليهم
الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم ووصف بعضهم احمد
ابن حنبل فقال رحمه الله عن الدنيا ما كان اصبره وبالماضين ما كان اشبهه اتته البدع فنفاها
والدنيا فاباها وقد وصف الله ائمة المتقين فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات ومنه قوله وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر وقوله اولي الايدي والابصار ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فقوله سبحانه
فاستمتعتم بخلاقكم اشارة الى اتباع الشهوات وهو داء العصاة وقوله وخضتم كالذي خاضوا
اشارة الى الشبهات وهو داء المبتدعة واهل الاهواء والخصومات وكثيرا ما يجتمعان فقل من
تجد في اعتقاده فسادا الا وهو يظهر في عمله وقد دلت الاية على ان الذين من قبل استمتعوا وخاضوا
وهؤلاء فعلوا مثل اولئك ثم قوله فاستمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك في الماضي وهو
ذم لمن يفعله الى يوم القيمة كساير ما اخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم فانه ذم لمن حاله حالهم الى يوم القيمة وقد يكون خبرا عن امر دائم مستمر لانه وان كان بضمير
الخطاب فهو كالضماير في نحو قوله اعبدوا واغسلوا واركعوا واسجدوا وامنوا فكان جميع
الموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة مخاطبون بهذا الكلام لانه كلام
الله وانما الرسول مبلغ له وهذا مذهب عامة المسلمين وان كان بعض من تكلم في اصول الفقه
اعتقد ان الضمير انما يتناول الموجودين حين تبليغ الرسول وان ساير الموجودين دخلوا
اما بما علمناه بالاضطرار من استواء الحكم كما لو خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واحدا من الامة
واما بالسنة واما بالاجماع واما بالقياس فيكون كل من حصل منه هذا الاستمتاع والخوض مخاطبا